

البداية والنهاية

حاشا لمجدك أن تقنط عاصيا ... الفضل أجزل والموهاب أوسع
ثم دخلت سنة إثنين وثلاثين وخمسماة .

في الثاني ربيع الأول منها كان دخول الناصر دمشق بعد عافيته وزار القاضي الفاضل واستشاره وكان لا يقطع امرا دونه وقرر في نيابة دمشق ولده الأفضل على ونزل أبو بكر العادل عن حلب لصهره زوج ابنته الملك الظاهر غازي بن الناصر وأرسل السلطان أخيه العادل صحبة ولده عماد الدين زنكي الدين عثمان الملك العزيز على ملك مصر ويكون الملك العادل أنا به وله إقطاع كبيرة جداً وعزل عن نيابتها تقي الدين عمر فعزم على الدخول إلى إفريقية فلم يزل الناصر يتلطف به ويترفق له حتى أقبل بجندوه نحوه فأكرمه واحترمه وأقطعه حماه وبلادا كثيرة معها وقد كانت له قبل ذلك وزاد له على ذلك مدينة ميا فارقين وامتدحه العمامد بقصيدة ذكرها في الروضتين وفيها هادن قومس طرابلس السلطان وصالحه وصافاه حتى كان يقاتل ملوك الفرنج أشد القتال وسبى منهم النساء والصبيان وكاد أن يسلم ولكن صده السلطان فمات على الكفر والطغيان وكانت مصالحته من أقوى أسباب النصر على الفرنج وأشد ما دخل عليهم في دينهم قال العمامد الكاتب وأجمع المنجمون على خراب العالم في شعبان لأن الكواكب الستة تجتمع فيه في الميزان فيكون طوفان الريح فيسائر البلدان وذكر أن ناسا من الجهلة تأهبوا لذلك بحفر مغارات في الجبال ومدخلات واسراب في الأرض خوفاً من ذلك قال فلما كانت تلك الليلة التي اشاروا إليها وأجمعوا عليها لم ير ليلة مثلها في سكونها وركودها وهدوئها وقد ذكر ذلك غير واحد من الناس فيسائر اقطار الأرض وقد نظم الشعراء في تكذيب المنجمين في هذه الواقعة وغريبها أشعاراً كثيرة حسنة منها ... مزق التقويم والزريج فقد بان الخطأ ... إنما التقويم والزريج هباء وهو ... قلت للسبعة إبرام ومنع وعطا ... ومتى ينزلن في الميزان يستولى الهوا ... ويثير الرمل حتى يمتلى منه الصفا ... ويعم الأرض رحف وخراب وبلى ... ويصير القاع كالقف وكالطود العدا ... وحكمتم فأبي الحاكم إلا ما يشا ... ما أتي الشرع ولا جاءت بهذا الأنبياء ... فبقيتم ضحكة يضحك منها العلماء ... حسبكم خزياناً وعاراً ما يقول الشعراء ... ما أطعمكم في الحكم إلا الأمرا ... ليت إذ لم يحسنوا في الدين طغاماً أسا ... فعلى اصطراب بطليموس والزريج العفا ... وعليه الخزي ما جادت على الأرض السما ... ومن توفى فيها من الأعيان .

أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش .

برى بن عبد الجبار بن برى المقدسي ثم المصري أحد أئمة اللغة والنحو في زمانه وكان

عليه